

خواطر في الشفاء، من وحي أحد المخلّعين إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي

ها نحن ذا، في منتصف الطريق بين قيامة الرب المقدسة، يوم خلاص العالم، والعنصرة المقدسة، عيد ميلاد الكنيسة. تخبرنا الكنيسة المقدسة، كما لو أنها تربط العيدين بخيط غير مرئي، عن شفاء المسيح للمخلّع في يوم عيد العنصرة اليهودي. في هذه القصة نسمع عن شلل الخطيئة والانتظار الطويل للشفاء، وعن اليأس ومجيء المسيح الذي هو رجاؤنا، وأخيراً نسمع الوصية بأن نحيا حياة صالحة...

في هذه الفترة، من الفصح إلى العنصرة، نلاحظ مطابقة الروايات الإنجيلية مع حياة الكنيسة الأولى. يروي الإنجيل حياة المسيح في الجسد، بينما يروي سفر أعمال الرسل قصة قيامة المسيح من بين الأموات وعمله في الكنيسة. يمكن أن نرى هذا التطابق بين إنجيل يوحنا وسفر أعمال الرسل اللذين يقرأان معاً خلال هذه الفترة.

قد يبدو هناك بعض التكرار لقصص الشفاء بين عمل المسيح وعمل الكنيسة الأولى. هذا الأمر يُظهر استمرارية الإيمان والحياة خاصةً، ويبيّن قوة الشفاء التي تحملها الكنيسة إلى العالم.

الكنيسة ككيان للعلاج والشفاء

تأتي كل قصة شفاء في العهد الجديد برسالة على مستويين، أحدهما مادي والآخر روحي وهما مترابطان: هناك نوع خاص من العمى الروحي يأخذ في الاعتبار شفاء العمى الجسدي. وكذلك الحال مع الشلل. المصاب بالشلل (المخلّع) هو شخص لا يستطيع الحركة. قابلية التنقل هي جزء رئيسي من حياتنا. عندما تتوقف أجسادنا عن الحركة، والنفس عن التحرك من خلالها، نكون قد قاربنا الموت. كل عجز عن الحركة يؤثر على -الجسد والنفس كليهما. بدون القدرة على الحركة نحن محاصرون. وقد نفقد مرونة النفس كما الجسد. كل هذا وأكثر هو ما نتحرر منه عندما يأتي المسيح القائم من بين الأموات إلى حياتنا ليشفينا بجسده، أي الكنيسة. عندها نعود أحراراً لتتقدّم من جديد.

للشفاء معنى مهم في البيئة المعاصرة. فالكنيسة هي بالدرجة الأولى مكان للشفاء، لا بل هذه هي صفتها الأساسية بحسب العديد من كتابات المتروبوليت ييروتثيوس فلاخوس. نحن جماعة علاجية، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فنحن لا نرقى إلى مستوى الدعوة العلوية التي نحن مدعوون إليها.

إن الشفاءات التي تتم في جسد المسيح اليوم ليست دائماً على نفس المستوى الظاهر كتلك الموصوفة في الكتاب المقدس ولكن الشفاء موجود وحقيقي. عندما تحرر الكنيسة البعض من الإدمان بقوة الصليب والقيامة، يكون الشفاء الحقيقي قد تم. عندما يتخلص البعض من قيود غضبهم المهلكة، يكون الشفاء حقيقياً. عندما تحرك الكنيسة المؤمنين إلى تجاوز البرودة وعدم الاهتمام بالآخرين، يكون شفاؤهم من الشلل قد حدث.

يدعونا المسيح جميعاً إلى هذا النوع من الشفاء. هو ليس فورياً كالشفاءات في الكتاب المقدس. نحن بحاجة إلى الاعتراف لإخراج المشاعر التي تغذي أشكال الشلل الخاصة والشخصية فينا، والاعتراف في النهاية سوف

يثمر أيضًا وسنشفى. عبّر القديس إيريناوس عن هذا جيدًا: "إن مجد الله هو وجود الإنسان الكامل". تحقيق هذا يحدث عندما نشفى بقوة المسيح وقيامته.

إرادة الشفاء

إن المخلص بعد أن وجد المخلع بين الجموع، سأله "أتريد أن تبرأ؟" ومع أنه رأى حالة الرجل المخلع الأليمة، وأدرك انتظاره ورجاءه وصبره، لكنه احترم حرية الاختيار الكاملة لديه. قد يبدو هذا السؤال وكأنه تحدٍ للذين يستسلمون لمرضهم ويعتبرونه جزءاً منهم، وقد يجدون متعة فيه. إنه تحدٍ للذين يقول عنهم القديس إسحق السوري "كالكلاب يلغقون المنشار ولا يستطيعون التوقف، ويسكرون من مذاق دمائهم". وعندما سمع المخلص جواب الرجل بادره بأمرٍ. هذا الأمر يظهر أن السيد ليس مهتماً بالتفاصيل، ولا بالمعايير البشرية، ولا بالأعذار بأن ليس هناك من يساعد، ولا يوجد من يقود أو يعلم. يعلو صوت الرب بسلطان: "قم. احمل سريرك. لقد ولّى زمن شلل الخطيئة".

بشفاء المخلع جعله الرب رسولاً في العيد العظيم. بدلاً من الاستلقاء على فراش المرض، صار الرجل الذي سُفي قادراً على الذهاب إلى بيت الله بالتقدمات والتسبيح؛ وبعد أن وجد الابن في بيت الأب، أدرك أن شفاؤه كان روحياً أكثر منه جسدياً. "انظر، ها أنت قد برئت، فلا تُخطئ أيضاً!" قال السيد المسيح، وبعبارة أخرى، اسلك في البر. "لقد طهرتُك من الأدران، وشفيتُك من الخطيئة، وجعلتُك أكثر بياضاً من الثلج، وقدتُك إلى بيت الله، عَش الحياة التي خلقت من أجلها: عَشٍ بحق، حافظ على ثوب المعمودية نظيفاً وغير مدنس".

تماماً كالمخلع، كانت البشرية كلها في حالة شلل، بعد أن أصابها مرض الخطيئة الأصلية. على مدى آلاف السنين، حاول البشر أن يجدوا علاجاً، لكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى الله بمفردهم، ولم يكن هناك من يساعدهم. ومع ذلك استمروا منتظرين رحمة الله وأخيراً جاءتهم الزيارة الإلهية.

بقيامته الفصحية، فتح المسيح الطريق إلى ينبوع الحياة لكل من يعطش، وصار الطريق إلى الشفاء من العمى الروحي والبلاء والشلل مفتوحاً لكل من يُجيب "نعم يا رب!" عندما يسأله الرب "أتريد أن تبرأ؟".

عندما يلتقي المسيح بكل منا في هيكل الله، يخاطبنا بكلمات الكتاب المقدس، "ها أنت قد برئت، فلا تُخطئ أيضاً، لئلاً يكون لك أشْرُ". احفظ ثوب معموديتك بلا دنس، وتذكر القسم الذي أديته في جرن المعمودية، حتى لا تهلك روحك. قم من شلل الخطيئة، وافتح عينيك التي أعمتها الأهواء، واذهب إلى بيت الله ممجداً الذي خلصك: "لنفسى المخلعة جداً بأنواع الخطايا والأعمال القبيحة، أنهض يا رب بعنايتك الإلهية، كما أقيمت المخلع قديماً. حتى إذا تخلصت ناجياً أصرخ: أيها المسيح، المجد لعزتك" (قنذاق الأحد).